صديقي وزميلي آنذاك في الدراسة ، لزيارة اهله في بيت ريفي جميل بين صنوبر بعبدات . وفي ذلك اليوم بالذات بدأت اتعرف ، عن طريق الست عنبرة ، الى التراث الطيب الذي تمثله ـ تراث المجتمع البيروتي الاسلامي الذي كان له الدور البارز في عصر النهضة ، فبخسه المؤرخون حقّه واصبح مجهولا .

ومنذ ذلك اليوم وانا اتردد لزيارة « الست عنبرة » حيثما حلّت ـ في المصيطبة ، او راس بيروت ، او سوق الغرب ، او بحمدون ، او صوفر ، او حارة حريك ، او شملان ـ لمجالستها والاخذ عنها . ولم يطل الوقت حتى صرت اعتبر نفسي (وهي تعتبرني) من اعضاء اسرتها . وكل حديث سمعته منها زادني معرفة بسيرة بيروت وتعلقا بتراثها الحضاري الغني . وكنت في كل مرة اتمنى على « الست عنبرة » ان تدوّن مذكراتها في كتاب يحفظ ثروة خبرتها للاجيال المقبلة ، كما كان غيري من افراد اسرتها واصدقائها يحثها على ذلك . فجاء هذا الكتاب ، بعد السنوات الطويلة ، نتيجة لالحاحنا في الطلب .

ومن الآن فصاعدا لن يكتب تاريخ بيروت في العصور الحديثة دون الرجوع الى مذكرات « الست عنبرة » . ولن يكتب تاريخ النهضة النسائية في العالم العربي الحديث دون الاعتماد على هذه المذكرات بالذات . لذلك اعتبره شرفا كبيرا لي ان اكتب هذه السطور ، اقدّم فيها سيرة السيدة البيروتية الرائدة للقارىء العربي .

كمال سليمان الصليبي

Twitter: @abdullah1994